رسالة ميلاد ٢٠٠٠

(للبطريرك مار نصر الله بطرس صفير

بطريرك إنطاكية وسائر المشرق)

" لا تخافوا، لأني ها أنا أبشّركم بفرح عظيم"

(لو ٢:١٠)

بهذه العبارة بشّر الملاك رعاة بيت لحم بميلاد سيدنا يسوع المسيح.لقد بشّرهم بالفرح، وهذا الفرح لن يكون لهم وحسب، بل للعالم كلّه، على ما أوضح. وبإمكاننا أن نضيف أنه بشّرهم في الوقت عينه بالرجاء الذي لا يمكن انتزاعه من قلوبهم، وبالسلام الحق الذي لا يقدر على إعطائه غير الله الذي شاء أن يقيم بين الناس، على ما يقول الإنجيلي متى:" ويُدعى اسمه عمانوئيل، المترجم: إلهنا معنا"١

١-أبشرهم بالفرح

ليس الفرح بميلاد السيد المسيح فرحا طبيعيا،عاديا بحياة جديدة تبصر النور، على ما أشار إليه الإنجيلي يوحنا بقوله:" إن المرأة، حين تأتي ساعتها لتلد، تحزن لأن ساعة وضعها دنت، ولكن بعد وضعها ولدا، تنسى عذابها، لفرحها أن إنسانا وُلد في العالم". الفرح بميلاد السيد المسيح هو فرح عظيم للأرض والسماء، إنه فرح الناس أجمعين، بميلاد ابن الله الكلمة الذي"هو لدى الله، والله كان هو الكلمة"٢. وما من عقل بشري كان باستطاعته أن يتخيّل أن الله عينه سينحدر من علو سمائه، وسيولد من بتول كأحقر ما يولد إنسان على الأرض في مغارة وضيعة، لولا أن الله عينه سبق "فأظهر ذاته لأبوينا الأولين، إذ أراد أن يفتح لهما طريق الخلاص العلوي. فبعد أن سقطا ووعدهما بالفداء، أقامهما على رجاء الخلاص، وأحاط الجنس البشري بعناية مستمرّة، ليهب الحياة الأبدية لكل من بالصبر على العمل الصالح، يطلب الخلاص"٣ وكان عهد أول مع نوح٤، وعهد ثان مع إبراهيم،٥. وهكذا مهّد الله السبيل لمجيء ابنه إلى العالم. فكان ميلاد يسوع المسيح الذي تمّ منذ ألفي سنة. ولا نزال نحتفل بهذا اليوبيل الكبير الذي أتاح لأبناء الكنيسة خاصة وللعالم أجمع أن يستذكروا ما كان لمجيء المسيح إلى العالم من فائدة على جميع الصعد البشرية .

١-متى ١: ٢٣

٢-يو ١: ١

٣- الوحي الإلهي عد٣

٤-تك ٩: ٩

٥-تك ١٢: ٣

٢- بشّرهم بالرجاء

أجل ميلاد الرب يسوع هو ينبوع رجاء. لقد فتح أبواب السماء التي كانت مقفلة بوجه الإنسان عقابا له على خطيئته.وجعل الله "يثقّف شعبه على يد الأنبياء، على رجاء الخلاص، بانتظار العهد الجديد الأبدي المعدّ لجميع الناس، والذي سيُكتب في القلوب"٦، على ما جاء في الرسالة إلى العبرانيين:" هذا العهد الذي أعاهدهم به بعد تلك الأيام، يقول الرب،هو أن أجعل شريعتي في قلوبهم وأكتبها في ضمائرهم"٧. إن يسوع المسيح هو رجاؤنا. قبله كنا بغير رجاء، على ما يقول بولس الرسول: "وكنتم في ذاك الزمان، بغير مسيح...غرباء عن عهد الموعد، لا رجاء لكم، ولا إله لكم في العالم"٨. وهو رجاؤنا ليس في هذه الدنيا وحسب، بل في الآخرة، على ما يؤكّد بولس الرسول أيضا :" وإن كنّا نرجو المسيح في هذه الدنيا وحسبُ، فنحن أتعس الناس"٩.والرجاء المسيحي في القيامة معناه" ملاقاة المسيح القائم من الموت. ذلك أننا سنقوم على مثاله ومعه وبه"١٠

٣- وبشّرهم بالسلام

ليلة الميلاد، يقول القديس لوقا:"فجأة ظهر مع الملاك، كثير من جنود السماء، يسبّحون الله ويقولون : " المجد لله في العلى، وعلى الأرض السلام، والرجاء الصالح لبني البشر"١١.أجل إن"الله ليس إله شغب، بل إله سلام"١٢.ويسوع المسيح ابن الله المتأنّس هو من علّم الناس كيف يزرعون السلام في قلوبهم ليزرعوه في الأرض، عندما أمر بالمصالحة، وغفران الإساءة، ومحبة القريب، وبالصدقة، والإحسان، والصدق في القول والعمل، ونهى عن الإباحية و إثارة العثار والشكوك، ومحبة المال، والانسياق وراء غريزة الانتقام، واللجوء إلى المخادعة والرياء. وإلى هذه الآفات مردّ النزاعات والخصومات والحروب بين الناس. والمسيح هو من قال:"السلام أستودعكم، سلامي خاصة أعطيكم، لا كما العالم يعطي، أنا أعطيكم. لا يضطرب قلبكم ولا يجزع"١٣. وما من سلام حق لنا إلاّ فيه، على ما قال:" قلت لكم هذا ليكون لكم بي السلام، سيكون لكم في العالم ضيق، ولكن تقوّوا، أنا غلبت العالم"١٤

٦-تعليم الكنيسة الكاثوليكية عد ٦٤

٧-عبر ١٠: ١٦

٨-أفسس ٢: ١٢

٩-١كور ١٥: ١٩

١٠-تعليم الكنيسة الكاثوليكية عد ٩٩٥

١١-لو ٢: ١٣-١٤

١٢-١كور ١٤: ٣٣

١٣-يو ١٤: ٢٧

١٤-يو ١٦: ٣٣

أيها الأخوة والأبناء الأعزّاء

ميلاد يسوع المسيح هو لنا ينبوع فرح ورجاء وسلام

إنه فرح يختلف عن الفرح المألوف، ولا يقوم على المظاهر العالمية والمباهج الدنيوية من إسراف في إنفاق على مأكل ومشرب وملبس وبذخ ومعالم زينة، وما شابه. وأنّى لمن أصبحوا على الحضيض لا يملكون ما يردّ عنهم غائلة الجوع، ويقيهم ذل الاستعطاء، ولمن لهم معتقلون ومفقودون لم يعودوا، وللعائلات المشتّتة في الجنوب، والمتهم أفرادها ظلما بالعمالة، فيما أكرهوا في مجملهم على ما لا يرغبون فيه، أنى لهؤلاء جميعا أن يفرحوا إلا على طريقة بولس الرسول القائل:" أنا أفرح بالآلام لأجلكم، فأتمّم بجسدي ما نقص من آلام المسيح، لأجل جسده الذي هو الكنيسة"١٥.وهم يؤمنون أن هذه الآلام لا تذهب سدى وضياعا، وسيكون لها طاقة فداء عن هذا الوطن وأبنائه، ليستعيد جميع مقوّماته، بحيث، على ما يقول البابا يوحنا بولس الثاني، "يتدبّر حياته وفق تقاليده الخاصة، بعيدا طبعا عن كل انتهاك لحقوق الإنسان الأساسية، ولاسيما اضطهاد الأقليات.ولكل أمة الحق في بناء مستقبلها بتوفير التربية المناسبة لأجيالها الشابة "١٦

وإذا تعذّر الفرح الدنيوي، فالرجاء، بحمده تعالى، موفور. إنه رجاء المؤمن بربه، الواثق من نفسه ومن عدالة قضيته، وهي قضية شعب قاسى طوال ربع القرن المنصرم أنواع العذاب والكبت والقهر والتهميش، وإن كان بعض فئاته لم يتورّع عن الإسهام في إيصاله إلى ما وصل إليه من سؤ حال. وقد ضامه أن يرى وطنه يفرغ شيئا فشيئا من خيرة أبنائه، القادرين على الإسهام بما لهم من طاقات فكرية إبداعية في إنهاضه وإعادة بنائه، وأن يلفى ذاته مغلوبا على أمره في سعيه الجاد إلى كسب عيشه اليومي لما يلقاه من مزاحمة غير مشروعة، وأن يجد أن هذا الوطن الذي كان نشاطه يملأ الساحة الدولية يبدو الآن وكأنه قد غاب عنها لما أصابه من تقوقع وتحجيم، فيما أبناؤه المنتشرون على صدر المعمور يحتل الكثيرون من بينهم في مهاجرهم أعلى المراتب وعلى كل الصعد، ولم يحرّك ساكنا لاستقطابهم .وهذا الوضع المأساوي يصحّ فيه ما قاله قداسة البابا يوحنا بولس الثاني أمام الأمم المتحدة، وهو: "عندما يكون هناك ملايين الناس يعانون من الفقر – أي من الجوع، وسؤ التغذية، والمرض، والأميّة، والامتهان– علينا أن نتذكّر أنه لا يحق لأحد استغلال الآخر، لمصلحته الخاصة، وعلينا خاصة أن نؤكّد مجدّدا التزامنا بالتضامن الذي يجيز للآخرين أن يعيشوا، في الحالات الاقتصادية والسياسية الحسيّة التي هم فيها، والتزامنا بالإبداعية التي هي علامة الشخص البشري الفارقة والتي تجعل تنمية ثروات الأمم ممكنة"١٧

١٥– ١: ٢٤

١٦– خطاب قداسته في الأمم المتحدة راجع مجلة التوثيق الكاثوليكي ص ٩٢٠ سنة ١٩٩٥

١٧–المكان عينه ص ٩٢٢

ومع الرجاء لا بدّ من أن يأتي السلام المرتقب.وشرطه أن يكون الإنسان في سلام، قبل كل، مع ربه ومع نفسه، أن يحترم ذاته ويستوحي ما له من قيم في أقواله وأعماله، وألاّ يتنكّر لما يدين به من مبادئ وما رسخ في ضميره من اقتناعات، وأن يسعى إلى تحقيق مصلحة وطنه ويغلّبها على مصلحته الضيقة الخاصة. إذ ذاك يمكنه أن يكون في سلام مع قريبه. وهذا يبدو لدى الكثيرين، لسوء الطالع، من الأفراد والجماعات، بعيد المنال.ولهذا تتأجّج نار الحروب حولنا كما تأجّجت عندنا سابقا. وإن ما يجري في فلسطين لمفجع. والقتلى من الشبان العزّل تتساقط كل يوم، والنار تشتعل في المباني، ومشاهد العنف تجرح المشاعر، وتظهر أن الحياة الإنسانية صارت أرخص متاع. ومدينة القدس المعروفة منذ القدم بمدينة السلام، أصبحت موضوع تجاذب ونزاع عنيف بين أتباع الديانات الموحّدة الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، فيما كان من الواجب أن تبقى مفتوحة لجميع المؤمنين دونما استثناء ولا استئثار لتكون حقا مدينة السلام.

وإنا، إذ نتمنّى لكم ،أيها الأخوة والأبناء الأعزّاء، أعيادا ميلادية مجيدة تأتيكم بالفرح والرجاء والسلام، نسأل الله، بشفاعة سيدة لبنان، أن يعيد عليكم مقيمين ومغتربين، أعيادا عديدة وأعواما مديدة، وأنتم مشمولون برضى الله وبركاته.

بكركي في ٢٠٠٠/١٢/٢٢

==========